



جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة: دكتوراه أدب

مادة: قراءة جديدة في نص أدبي قديم

محاضرة: أثر البيئة على النص الأدبي

مدرس المادة: أ. د. أسماء صابر جاسم

المحاضرة: الرابعة

## اثر البيئة على النص الادبي

يعد المنهج البيئي من المناهج القديمة التي يمكن استنباطها من النقاد القدامى وذلك من خلال نظرياتهم ، وان لم يفصح عن ذكر مصطلح صريح ومثال على ذلك في قضية الطبقات عند ابن سلام الجمحي عندما جعل البيئة ضمن المعايير التي قسم عليها الشعراء . فحضور البيئة بمعناها الواسع في شعرنا العربي انعكس على مرآة النقد الادبي ، واذا كان من النادر أن نجد شاعرا لم يذكر مظهرا من مظاهر البيئة في شعره ، فان من النادر ان نجد ناقدا لم يشر اليها ايضا.

وعليه فان البيئة نوعان: عامة، خاصة، وكل منهما ينقسم في الوقت نفسه الى قسمين:

طبيعي ، واجتماعي .

فالبيئة الطبيعية العامة هي كل ما يميز البلاد من جبال ووديان وانهار وبحار وسهول خصبة وصحاري ، وهواء بارد وحار . فان كانت الارض سهلة وخصبة او جبلية ظهر اثرها في طبائع الانسان او الافراد من لين او شدة او كرم او بخل، وان كان الهواء حارا او باردا بان او برز اثره في مزاج الناس او الافراد او السكان بكافة اطرافهم ومستوياتهم من ميل الى الكسل او الخمول او النشاط.....الخ

وعليه فالبيئة الاجتماعية العامة هي مايسودها تلك البلاد من نظم وقوانين وعقائد واديان وعادات وتقاليد .. ، والبيئة الطبيعية الخاصة هي الوسط او المحيط الضيق الذي يعيش فيه الفرد بطريقة او باخرى.

والبيئة العامة بنوعها الطبيعي والاجتماعي تؤثر في سكان البلاد فتكسبهم ميزة خاصة يمتازون بها عن سائر الشعوب العربية باجمعهم وهذه الميزة هي ما يسمونه بالميزة العقلية، والبيئة الخاصة من شأنها ان تؤثر في حياة المجتمع ومنهم الفرد خاصة ففي العصر الجاهلي نرى ما يلي.

- وعورة الالفاظ ومعانيها.
- ترجم لأبرز مظاهر الحياة البيئية وظهر فيها الصحراء، الحيوان، الانسان الممدوح  
ثم العادات والتقاليد السائدة آنذاك.
- حضور البيئة الحربية.

أما من الناحية الأخرى:- الموضوعات وبيئة النص بما فيها من صعوبة الاساليب البيانية.

قد ظهر أثر ذلك في جميع الفنون الشعرية التي طرقتها الشاعر العربي في الصحراء ... وعلى هذا

الاساس نرى ان الشعر الجاهلي لا يخرج عن الموضوعات الرئيسة التالية:-

الوصف ( اثار الديار وغيرها)، الغزل او وصف الحبيب.

ففي وصف اثار الديار قال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ      بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

فتوضح فالمقراة لم يعفِ رسمها      لما نسجتها من جنوب وشمالِ

وقال طرفة بن العبد:

لخولة أطلالُ ببرقةٍ تهمدِ      تلوح كباقي الوشمِ في ظاهر اليدِ

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم      يقولون لا تهلك أسىً وتجلدِ

فجميع هذه الاوصاف تدور حول معنى واحد هو القول بأن الديار أقفرت من سكانها ولكن آثار

أولئك السكان لم تذهب، وهكذا استمد الشاعر صور الحسية من صميم البيئة الصحراوية التي يعيش فيها

الناس.

ثم لم يتعرض أمرؤ القيس لوصف الناقة بل أسهب في وصف الفرس وهو في ذلك يظهر لنا أثر

البيئة الخاصة في نفسه... ففي وصف الفرس قوله:

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمودٍ صخرٍ حطه السيل من علٍ

أما في العصر الاسلامي فوجدنا غياب المقدمة الطلبية وبروز الصفة الاسلامية كما أكثر الشعراء

في هذا العصر الاقتباس في نصوصهم الشعرية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أما في العصر العباسي انتقلت البيئة من الصحراء الى مدن وطبيعة وقصور وحدائق، كل هذه

أثرت على بيئة النص فأصبحت العبارات رقيقة وبسيطة وسهلة ممزوجة بمظاهر الطبيعة الجديدة

كالمرجان واللؤلؤ. كما وجدنا في هذا العصر بعض النقاط الآتية:

- رقة الالفاظ والعبارات.
- غياب الصحراء.
- مزج الخمرة مع البيئة.
- حضور البيئة السياسية والاجتماعية
- حضور المرأة.
- شخصية الحاجب كانت موجودة.

## البيئة في الادب العربي

أخذت البيئة مكانةً رائدةً في العلوم العربية الاسلامية فكم من الفتاوى غيرت تبعاً لتغيير الامكنة والازمنة، فقد أعتمد العروض في مصطلحاته على البيئة ومفرداتها، ومصطلحات أخرى بيئية مثل ( الباب، البيت، الحشو، العروض، المتحرك)، معظم مصطلحات الزحافات والعلل أخذها الخليل بن احمد الفراهيدي من البيئة ويصرح قائلاً (( رتبت البيت من الشعر ترتيب البيت من بيوت العرب من الشعر )) وجاء الشعر العربي احتفاءً بالبيئة ولكن بالبداية يجب ان نفرق هنا بين وصف الطبيعة الخارجي والوعي البيئي ... فوصف الشجرة مثلاً دون وعي بأهميتها وجمالها من الصعب ادخالها في دائرة الادب البيئي وإلا لعد الشعر الرومانسي كله شعر بيئي. وان مصطلح الادب البيئي يشترط احساس الكاتب بالبيئة التي يعد جزءاً منها، وعلى هذا الصدد يقول الشريف الرضي عن الديار:

ولقد مررتُ على ديارهم      وطولها بيدي البلى نهبُ

فيقول مررت على ديار أحبائي فرأيتها طولاً نال منها الدمار والبلى، ثم وقفت عليها حتى تعب جسمي الهزيل لكثرة ما وقفت ولامني زملاء السفر .

فالقصيدة العربية نص بيئي حيث تشكل بيئة الطلل مرتكزاً أساسياً في الادب العربي والطلل هو ما بقي شاخصاً من اثار الديار ونحوها والطلل كذلك احتفاء شعري بالمكان... وما في هذه القصائد القديمة بما فيها من تقسيمات للبيئة منها:

- بيئة الطلل
- أدب النباتات
- بيئة الصحراء
- أدب البدو
- بيئة الحيوان
- أدب الحضر
- بيئة المناخ